المشعرة بأنهُ عاشر المسيحيين الاولين وسمع منهم بعض تعاليمهم وصلواتهم

ومن اغرب ما ورد ذكرهُ في معرض كلام هذا الساحر « بركة الخمر في الكأس » ويزعم انها رتبةٌ يحفل بها « فيليبُس السامريّ » . أفايس في هذا القول اشارة الى ذبيحة القربان الاقدس والى بشارة القديس فيلبُس احد الشمامسة السبعة في بلاد السامرة كما أخبر في الفصل الثامن من اعمال الرسل العدد الخامس ؟ ومهما كان من شرح تفاصيل هذه الرُّقى السحريّة فانهُ لم يبقَ مجال للشكّ بانّ النصرانية كانت معروفة في مصر منذ القرن الاوّل للمسيح وانّ تقليد قدماء النصارى من الامور الراهنة الصادقة

هذا وانّنا نعلم انّ علماء الكاثوليك لا يوجبون مقالًا الّا حقّقوهُ بالحجج الصادقة واستندوه الى الشواهد الصحيحة . الّا انهم لا يزدرون ايضًا بما تأتيهم الا كتشافات الجديدة من البراهين ولو كانت على يد سفلة القوم او السحرة . وربّما اتت الشهادة من عدوّ فتزيد قوّةً وبيانًا

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

(تابع لما قبل)

ان تاريخ خضوع تدمر للدولة الرومانية لا يُعرف حقّ المعرفة لِعدم الدلائل عليه . ومع ذلك فلا شكّ في ان انضمام تدمر الى ممالك الرومان لا يرتقي الى ما فوق السنة السادسة والثلاثين قبل المسيح . فقد ورد في تاريخ ابيانوس الروماني (De bello civili, ٧ ٩) ان مرقس انطونيوس القائد الروماني بعد ان حارب في تلك السنة الملوك الاشكيين ودارت عليه الدوائر توجّه الى الشام عائدًا من ثمّ الى رومة . فلمّا قرب من تدمر أوفد الى اهلها رسلًا يخبرونهم انّهُ قاصد مدينتهم ليُريح عندهم جنودهُ ممّا نالوهُ في الحرب الاخيرة من المشقّة والعناء . لكنّ هذا القائد كان يضمر الشرّ لاهل تدمر وكانت نيّتهُ الخفيّة ان يطلق جيشهُ على المدينة فتكون لهم غنيمة باردة يملكون اموالها ونفائسها صفوًا عفوًا

فلم يلبث التدمريّون ان اطّلعوا على حقيقة الامر فاخذوا حذرهم من غارة الرومان وبادروا الى نقل اموالهم وعيالهم وعبروا الفرات مُسرعين . فلمّا سمع الملك بذلك تعقّب

آثارهم حتى ادركهم واقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين. فولّى الرومان مدبرين وقد لحقهم من الاضرار ما لم يُلمّ قبلُ من الفُرس. وهذا على ما نرى دليل واضح على ان تدمر لم تذعن للدولة الرومانية الّا في اوائل النصرانية كما مرّ

امّا الزمن الذي فيه اصابت تدمر حقوق مستعمرة رومانية فهو امرٌ ذهب فيه الكتبة مذاهب مختلفة يطول شرحها بالتفصيل. وما لا شبهة فيه ان تدمر كانت مُحرزة لتلك التسمية الشريفة في عهد كراكلاّ (٢١١ — ٢١٧) كما يتّضح من كتاب أُليان الفقيه (١. قال وادنكتون (٢: ان القيصر الذي وهبها هذه الرتبة والحقوق المنوطة بها انّما هو الملك سبتيميوس ساويرس (١٩٣ — ٢١١ م). لكنّنا نؤثر رأي دي فوكويه (N° ٤) ودُوبل ودرُوين ونظنّ انّ الامر يرتقي الى عهد القيصر ادريانس لِما في الكتابة المكسيّة الموصوفة آنفاً من الادلّة الواضحة على علوّ مرتبة تدمر بين المستعمرات الشرقية في ذلك الزمان (٣. واذا ردَدْ قولنا فاقلّ ما يجب التسليم به هو انّ الملك ادريانس الذي قد جلّت ايادية على تدمر منحها منصباً رفيعاً يُسمّى عندهم (πατρονομία) اي رأس الاميريّة على جميع القرى المجاورة لها في بطون البراري (٤

هذا ولمّا كان ادريانس صرف همّتهُ في مصالحة الشعوب المحيطة بالممالك الرومانية

---

١) راجع Digest. L., 15., 1. حيث قيل ان تدمر كانت من جملة المدن التي اكتسبت الحقوق الايطالية Jus italicum اي حقوق المستعمرات الرومانية العليا. وكانت المستعمرات في عهد القياصرة على ثلاث طبقات الاولى وهي السفلى لم تمنح للمدينة الّا شرفاً دون امتياز. والثانية وهي المتوسطة كانت تختلف عن المستعمرة وطأة الخراج. امّا الثالثة وهي العليا فتنيل المدينة عدّة صفايات وحقوق منها حقّ الامتلاك التام والاعفاء عن الخراج والحريةُ الكاملة في سياسة المدينة وتدبيرها

٢) W. 2585

٣) راجع W. p. 596, col. 1 و N° 2616 حيث يتّضح ان بعض رجال تدمر من اعيان البلدة وشرفائها اتخذوا اسم ادريانس مع حقوق المدنيّة الرومانيّة التامّة. — راجع ايضاً : Drouin *La Numismatique Araméenne*, J. A. 1889¹, p. 392 وكتاب المسيو دوبل : Double *Les Césars de Palmyre*, p. 10 . (وقد تكرّم احد ادباء بيروت فاطلعنا على هذا التأليف الذي ابدينا الأسف في اوّل مقالتنا على عدم تصفحه

٤) راجع *Notitia Dignit.* I, p. 85 و Corp. Inscript. græc. 4485, 4496, 4499 و Procop.: *De Ædif.* II, 11

طفقت مستعمرة تدمر تفلح وتنمي وترتقي الى قمّة الغنى والثروة وكانت قفولها العظيمة تقطع دون ملل المسالك التي اشرنا اليها في خارطتنا وتسعى في رواج تجارة الرومان ومصالح سياستهم. وكذلك كان الامر في ايام انطونينوس بيوس خلف ادريانس. فان هذا القيصر الذي استوى اكثر من عشرين سنة على عرش رومة بسط على وجه المعمور الصلح والسلام فكانت ايامهُ طيبةً والخيرات فيها دارّةً والولايات عامرةً. فبذلك تنّى لمدينة تدمر ان تشدّد بينها وبين الدولة الرومانية العلائق والروابط الوداديّة فازدادت ثروتها وعلا قدرها وشمل العمران كلّ انحائها وكان هذا لكلا الفريقين وِدّاً عظيماً لاسيما وقتَ ظهر اردشير بن ساسان فاباد دولة بني ارشك وتبوّأ تخت السلطنة (سنة ٢٢٦). فلمّا استحكل امر بني ساسان خاف الرومان من سطوتهم فبادر اسكندر ساويرس الى محاربتهم (٢٢٩) واحبَّ ان يجتاز بتدمر حيث استقبلهُ زينوبيوس ابو زينب وكان وقتئذٍ قائد الجيش التدمري كما سبق (١ وفي تلك الاثناء حصل آل أذينة بنو السميدع على مرتبة الشيوخ (٢

وكانت صنائع اليونان وفنونهم وجميع اسباب العمران الروماني قد ولجت ابواب تدمر منذ زمن قديم ونفذت فيها اي نفوذ (٣ فتقاطر اليها من كل اوب الصنّاع المهرة

---

١) ولا نعلم كيف اجترأ المستر رَيت (Wright) صاحب كتاب Palmyr aand Zenobia,189; فقال ان زينب كانت ابنة زبّاي وهو يسند زعمهُ الى ثلاث كتابات تدمرية من مجموع المركيز دي ڤوگويه وفيها ورد اسم ملكة تدمر الحقيق الذي هو بَتْ زبّي اي ابنة التاجر كما قلنا سابقاً. فسخ الكتاب اسمها (راجع الكتاب المذكور ص: ١٢٧)

٢) ان اوّل من جاء ذكرهُ من بني السميدع في الكتابات التدمرية هو نصور (נצור) ثم ولده وهبلات ثم خيران (הירן) ابن وهبلات وهو الذي سار بصحبة سپتيميوس ساويرس الى محاربة الارشكيين وفي آخر هذه الحرب تسمّى باسم سپتيميوس ذكرًا بولي نعمهِ V., n^os 21 et seqq.

٣) ولنا في ذلك برهان لا مرد عليهِ وهو كتابةٌ حُفرت في السنة ١٠٣ (ب.م) على قبر حكم البناء بديع الصنع قد نقشتهُ يدُ الصنّاع اليونانيين. امّا الهيكل العظيم المخصّ بعبادة الشمس وغيره من الابنية العجيبة الباهرة (وهي من الشكل الكورنثي السوري) فالارجح انها تنتمي الى هذا العهد ايضاً. (راجع Chesney : I, p. 526). ومن جملة آثار تدمر معبد صغير يسمّى هيكل والدة الملك وهو يرتقي الى السنة ١٣٠ وقد كُتب على احد اركانه اسم ادريانس القيصر. امّا قول الذين ينسبون هذه الابنية الى زينب فلا سند لهُ بل هو خطأ بيّن لانّ الهياكل التي بُنيت في عهد

والعَمَلة الحذّاق بآداب البنيان فشيّدوا فيها من الهياكل والمعابد والمنازل والمشاهد والملاعب والقبور ما يخلب الالباب ويستدعي العجب العُجاب (راجع صورة آثار تدمر في هذه الصفحة) . ومع ذلك فلم تزل مدينة تدمر تحفظ سننها الوطنية وعوائدها الخصوصية كسائر الاقاليم الشرقية المذعنة للرومان وبقيت آداب التدمريين ولغتهم آرامية رغماً عن شيوع اليونانية في المعاملات الرسمية (١

هذا واذا اعتبرتَ ان العهد الذي فيه ارتقت حاضرة زينب الى اوج التمدن هو نفس الزمن الذي به تواتر على عرش رومة بعض الملوك الشرقيين كسپتيموس ساويرس واسكندر ساويرس وفليبوس العربيّ فلا تَتَعجب من كون سپتيموس أذينة الاوّل قد تجاسر على خلع السلطة الرومانية واقامة دولة مستقلة تحتوي على انحاء البراري وبلاد العرب الشمالية.

نظر عمومي لآثار تدمر على ما كانت في آخر القرن الثاني (راجع ردد)

.لكة تدمر كيكل بطبكة مثلاً يدل شكلها على ان صناعة البنيان قد انحطّت من سذاجتها الاولى وخلوص اشكالها الى تكاثر النقوش واختلاط الصور. (راجع Wright, *op. c.*, p. 63 و Revue des Deux Mondes, 15 Juillet 1897, p. 380).

اما العمران الروماني فالمراد به جملة اسباب الرفاهية وسعة العيش من حيث اختيار الاطعمة والالبسة والمساكن وغيرها من امور الزهو ودواعي اللذة التي بها اشتهر الرومان على من سواهم من شعوب المكونة

١) راجع نولدك: ZDMG, 1885, p. 333

وكان هذا الرجل ابن خيران بن وهبلات بن نصور من بني السميدع كما مر وانتهز الفرصة فادّعى المُلك . فلبّى قومُهُ الى دعائه وسموهُ ملكًا في نحو السنة (٢٥٠ م) فلمّا قويت شوكتهُ فطن لامرهِ القيصر الروماني واراد ان يُخمد ضرام فتنتهِ فامر بقتلهِ فقُتل (١

وكان لأذينة الاوّل ابنان أكبرهما يدعى سبتيميوس خيران والاصغر سبتيموس أذينة فاخذ خيران بعنان رياسة مجلس الشيوخ بعد قتل ابيهِ ولم ينصب المكائد على الدولة الرومانية كما فعل ابوهُ . فلمّا مات عن ولد صغير يدعى (ΤΙΜΟΛΑΟΣ) مَعْني وباليونانية (Μαιονιος) خلَفه اخوهُ أذينة الثاني وكان قبل ذلك قد استولى على قيادة الجيوش والغيرات وقبائل بادية الشام وفي السنة ٢٥٧ منحهُ وَلِريانس القيصر رتبةً سامية فدعاهُ قنصلًا (vir clarissimus consularis) او سيد البلدة (٢

وكانت تلك الايام ايّام فتن وحروب وقد ذلّل شابور بن اردشير رقاب الرومان في اقاليمهم الشرقية فعزم وَلِريانس على محاربة الفرس وزحف مسرعًا الى بلادهم (٢٥٩ م) . الّا أنّ مكرينس احد قوّاد جيشه خانهُ فاضلَّ الجنود واسقط القيصر في ايدي الاعداء بجوار الرها فاسرهُ سابور واذاقهُ مرّ الهوان ومثّل بهِ (في بدء السنة ٢٦٠)

وكان أذينة رجلًا ذا شجاعة وبأس قوي القلب من ابطال العرب قد نشأ على آداب اهل البادية وكان مغرًى في صحاري الشام يصيد الدباب والنمور والاسود (٣ ومع ذلك فلمّا انتهى اليهِ خبر القيصر وما لحقهُ من العار والذل تهيّب سطوةَ سابور وفكّر في وجه استعطافهِ فارفد رسُلًا يحملون اليهِ الهدايا والالطاف مع كتابة يلتمس فيها أذينة من ملوك الفرس الصلح والمعاهدة (ستأتي البقية)

---

١) والذي قتلهُ هو علي راي وادنكارن (N° 2600) رجل اسمهُ روفينوس قد ارسلهُ القيصر لمناظرة امور سورية

٢) او Βαιανός الذي بمعناهُ المُرسَل التصلي . قال الاب مرتين اليسوعي : ان هذه الدرجة توازي وظيفة والي سورية وفينيقية . (راجع ايضًا W., N° 2602) . وقال بعض المؤرخين ان أذينة كان في اوّل امره قد صمّم على الاخذ بثار ابيهِ وشارك رجلًا اسمهُ كيرياديس (Cyriadès) لاقامة دولة مستقلّة في اقاصي المشرق . (راجع Double, : l. c., p. 23) الّا انّ في الامر نظرًا . والارجح عندنا ان كيرياديس هذا لو صحّ وجودهُ قد شارك أذينة الاول في خروجه على الرومان نحو السنة ٢٥٠ كما قبل . (راجع W., N° 2600) وعلى كل حال فلم يتمّ أذينة ان يقصر للدولة الرومانية فيقاتل جميع اعدائها ٣) (راجع تريبليوس Trig. Tyr. 14) . اعلم ان الاسود والنمور لم ترل الى يومنا هذا تتردد الى الوديان المجاورة لتدمر